



يؤشر تكثيف الوجود الروسي في سوريا إلى متغير خطير يتوجب التنبه له وهو إقتناع دوائر صنع القرار في روسيا بأن احتمالات سقوط نظام الأسد أصبحت أكبر من إحتمال صموده وبقاءه وهذا التقدير قد يكون نابع من ملاحظة عيانية نتيجة تراجع قوات الأسد على محوري سهل الغاب وجبال اللاذقية، وهي أكثر المحاور حساسية مع العاصمة دمشق؛

وبالتالي ارتفاع منسوب القلق الروسي من حصول مفاجأة قد تؤدي لخروجها نهائياً من دائرة صناع تقرير مستقبل الوضع في سوريا والمنطقة، وهو ما يدفعها إلى النزول مباشرة لساحة الحدث من أجل إجراء التعديلات المناسبة التي تضمن بقاء دورها وفعاليتها.

التفسير المنطقي لمثل هذا التطور أن روسيا قادمة إلى سوريا من أجل هدف محدد وهو حماية نظام الأسد وليس إستعادة سلطته على سوريا موحدة، فذلك أكبر من إمكانياتها ونظرا لحسابات التكاليف والجدوى، سواء كان ذلك نوع من التحسب لعدم الغرق والإستنزاف على خطوط الصدع الإقليمية، شمالاً في حلب وجنوباً في درعا، أو تلك المتعلقة بملف الإعمار وإستحقاقاته وتلزيماته، ما يعني أن الحدود التي رسمتها إيران لسوريا المفيدة والحدود التي تراجعت لها قوات الأسد هي التي ستكون مجال عمل القوى الروسية.

بالمعنى الاستراتيجي لا يبدو ثمة أهمية كبيرة لمصالح روسية في المنطقة فمعنى أن لا يكون لروسيا في البحر المتوسط سوى قاعدة طرطوس يعني أن مصالح روسيا أصلاً في المتوسط ضعيفة ومتدينة وهي بالفعل كذلك، وما يؤكد هذه الحقيقة أن إمكانيات روسيا بالكثير تتوافق مع انتشار قريب من مجالها الحيوي وغلافها الإستراتيجي في البر الأوروبي القريب منها أو في بحر الأسود وقزوين والمجمد الشمالي، أما فيما يخص بعض تعاقاتها في مجال الغاز التي أبرمتها شركة غاز بروم فليس بالشرط إقترانها بتوفير إنتشار عسكري حول منابع الغاز ولا خطوط إمداده وتلك مهمة الحكومات الوطنية أي يكن شكلها وتوجهاتها.

والحال تبعاً لذلك أن مصالح روسيا في سوريا كان يمكن تأمينها مع أي حكومة ولا يحتاج الأمر إلى حد الإنخراط الكلي في صفوف أحد طرفي النزاع ولا الإصرار على مغامرة معاداة الشعب السوري والذهب بعيداً في بناء جبال متراكمة من العداء يصعب إخراقتها لسنوات طويلة والأكثر من ذلك معاداة البيئة التي ينتمي لها الشعب السوري والتي من المفترض أنها تشكل إحدى دوائر العلاقات الروسية والتي يدخل بعضها في الإطار الداخلي والإقليمي لروسيا.

لا شك أن ثمة هدف أبعد يدفع روسيا بالشخصية بما تعتبره تكتيكيًا، علاقتها بمكون سوري كبير، لمصلحة ما هو استراتيجي في نظرها، وتفسير هذا الأمر منوط بدرجة كبيرة بمعرفة هيكليّة الأولويات الروسيّة في هذه المرحلة الزمنيّة، ومن الواضح أن الفعالية الدبلوماسيّة الروسيّة والجهود والموارد كلّها تنصب في هذه المرحلة حول هدف إستراتيجي كبير وهو إستعادة المكانة الروسيّة، ودفع العالم، أو القوى الغربيّة، إلى الإعتراف بهذا الأمر، وتسعى روسيا إلى إقناع الآخرين من خلال الأدوار التي تقوم بها حتى لو كانت ذات طابع سلبي وعدائي كما يحصل في سوريا وأوكرانيا.

يتحمل العالم وأميركا بالدرجة الأولى جزءاً كبيراً من المسؤولية عن هذا الدور السلبي الروسي وخاصة في سوريا، فهي طالما فتحت له النوافذ وسمحت بمزيد من هوامش ومساحات الحركة والمناورة لتجريب هذا الدور وتفعيله وطالما جرى إسقاط خطوط حمر كثيرة، وكل ذلك زاد من الإغراء الروسي للاندفاع إلى الساحة السوريّة لصناعة منصة تسامون من خلالها العالم وتناكه وتستدرج عروض من الخليج وتركيا وتداهن إيران، وإعطاء روسيا فرصة تعويض ما تخسره في المقلب الأوكراني، حتى تحولت سوريا ومصيرها إلى منجم من الفرص لروسيا، مقابل زيادة نسبة المخاطر على شعب سوريا ووحدة بلده.

لا شك أن الإنخراط الروسي المكثف في سوريا سيضع البلد وأهلها على فوهـة بركان، وعلى عكس ما قد يتصوره البعض، فلن يكون هناك طرف خاسر وأخر رابح من هذا التدخل الروسي الذي يأخذ طابع الاحتلال، الفرق أن طرفاً قد تمـسه نار هذا التدخل مباشرة فيما الطرف الآخر سيشعر بعد فوات الأوان بفـداحة الخطأ المرتكـب، والأكيد أن التدخل الروسي إن إستمر على نفس الوتيرة وبدون ردـع داخلي ودولـي سيـسرع من عملية تقسيـم سوريا وتنـفيـذ المخطط الذي يرسمـه نظام الأسد وملـالي إـران.

أوريـنت نـت

المصادر: